

## الأبعاد المقاصدية للاستمداد من السيرة النبوية الشريفة

الدكتور الأمين اقريوار

أستاذ الحديث وعلومه بكلية أصول الدين بتطوان - جامعة عبد المالك السعدي - المغرب

### ملخص البحث<sup>١</sup>

يهدف هذا البحث إلى ما يلي:

- 1- خدمة سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وبيان المنهج الصحيح للاستمداد السديد منها.
  - 3- الكشف عن علاقة علم السيرة النبوية بعلم المقاصد.
  - 4- الوقوف على مقاصد الاستمداد والاستلهام من معين السيرة الذي لا ينضب وراثتها الذي لا يلى.
- وتم فرش ذلك في محورين، الأول يتعلق بمفهوم المقاصد وأثرها في فهم السيرة النبوية. والثاني بأهم مقاصد الاستمداد من سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم.
- الكلمات المفتاحية: المقاصد، الاستمداد، السيرة.

Research Title: The General Purposes (Maqasid) of Pertinent Extraction from the Prophetic Biography

Prepared by Dr. KRIOUAR EL AMIN, Professor at the Faculty of Fundamental Studies of Religion in Tetouan

This research aim is as follows:

- 1- To Serve the biography of prophet Muhammad pbuh and demonstrate the correct methodology to extract from it.
- 2- To draw attention to the relation between the Prophetic biography and the Maqasid.

3- To shed the light on the purposes of the extraction and inspiration from the inexhaustible Prophetic biography and lasting tradition.

These all are explained in two chapters. The first relates to the concept of Maqasid and its impact on the understanding of the Prophetic biography. The second links up to the most important purposes (Maqasid) of the extraction from the biography of prophet Muhammad pbuh.

#### Keywords:

biography of prophet -Purposes -Extraction

#### مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه، وبعد:  
فإن علم السيرة النبوية من أشرف العلوم منزلة وأجلها قدرا، وأغزرها فائدة، وأعظمها جلالا، منها يستمد المفسر أسباب نزول آيات القرآن الكريم وحيثياتها والمنهاج السديد لفهمها، ومنها يستمد الفقيه أحكامه الفقهية، ومنها يستمد المربي أصول التربية الصحيحة وأساليبها، ومنها يستمد الداعي إلى الله التوجيهات النيرة والخطوات الثابتة لنجاح الدعوة، ومن خلالها يقف المقاصدي على حكم التشريع وأسرارها وغاياتها، وفيها يجد صاحب كل ذي فن بغيته وضالته..

وتعتبر السيرة النبوية المصدر الثاني للتشريع الإسلامي؛ لأنها تشمل أقوال النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأفعاله وتقريراته وأموره اليومية، وهي بهذا تحتاج إلى عناية بالغة واهتمام كبير، للاستمداد منها، والاستضاءة بنورها، والوقوف على حكمها وأسرارها.

وعملية الاستمداد من القرآن والسنة والسيرة النبوية قام بها سلف الأمة وتواصلت إلى اليوم، متجاوبة مع حاجات الأمة والتحديات المواجهة لها، فكانت محصلة الجهود المبذولة، المكتبة الإسلامية بجميع مكوناتها في صنوف المعرفة... لكن تجدد حاجات الأمة وتحدياتها المعاصرة، يفرض اليوم كما في كل

زمان ومكان تجدد عملية الاستمداد حتى تكون قادرة على صياغة مناهج جديدة وحلولا مناسبة لهذا العصر، تمكن من تقوية صلة المسلمين بدينهم، وترشيد انفتاحهم على إيجابيات العصر، وتحصينهم ضد مفسده البيئة والخفية<sup>1</sup>.

ويعتبر موضوع "المقاصد الشرعية العامة للاستمداد السديد من السيرة النبوية" دعامة رئيسة لدراسة قضية آفاق الاستمداد من السيرة النبوية، لكونه يبين المنهاج الصحيح والمسلك القويم والسبيل الأنجع للاستمداد السديد من السيرة العطرة.

ولذلك فإن إدراك هذه المقاصد الشرعية العامة من أهم أسس الاستمداد الصحيح، فالنظرة القاصرة لأحداث السيرة النبوية العطرة وأيام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الخالدة دون الغوص في كنه أسرارها وحكمها لا تفضي إلى الغاية المرجوة من الاستمداد.

ولذلك فإن مراعاة تلك المقاصد في عملية الاستمداد تجعل المستمد يسير على صراط سوي يعطي للسيرة النبوية بعدها المقاصدي؛ ليستمد منها وهو مطمئن البال على نتائج استمداده الإيجابية، مُرتاح الضمير لآثاره النافعة المفيدة العاجلة والآجلة.

## أهداف الموضوع

تتلخص أهداف هذا البحث فيما يلي:

- 1- خدمة سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم.
- 2- بيان المنهج الصحيح للاستمداد السديد من السيرة النبوية.
- 3- الكشف عن علاقة علم السيرة النبوية بعلم المقاصد.
- 4- الوقوف على مقاصد الاستمداد والاستلهام من معين السيرة الذي لا ينضب وتراثها الذي لا يلى.

(1) أساسيات منهجية للاستمداد من الوحي، د. عبد السلام الأحمر، أعمال الندوة العلمية الدولية التي نظمتها الرابطة المحمدية للعلماء تحت عنوان "مناهج الاستمداد من الوحي"، ص 589.

## عناصر البحث

لبيان الأهداف السالفة الذكر سأتناول هذا الموضوع في النقاط الآتية:

- مدخل: مفهوم المقاصد وأثرها في فهم السيرة النبوية.
- مقاصد الاستمداد من سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم:
- ✓ تحقيق العبودية الكاملة لله تعالى.
- ✓ زيادة المحبة والإيمان.
- ✓ بيان ما جهل البشر من سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.
- ✓ الوقوف على مواطن الاقتداء والتأسي.
- ✓ جلب المصالح ودرء المفاسد .
- ✓ تقرير مزايا الإسلام في العبادات والمعاملات والمحظورات.
- ✓ هداية الناس وإصلاح الاعتقاد وتهذيب الأخلاق.
- ✓ الوقوف على سنن العمران وبناء الإنسان.
- وأسأل الله تعالى التوفيق والسداد وهو الهادي إلى سواء السبيل

## المطلب الأول: (مفهوم المقاصد وأثرها في فهم السيرة النبوية)

### 1- تعريف المقاصد:

المقاصد لغة جمع مقصد، مأخوذة من القصد يقال: قصده قصدًا ومقصداً، والمقصد: استقامة الطريق، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾ [النحل: 9]. أي على الله تبين الطريق المستقيم والدعاء إليه بالحجج والبراهين الواضحة.

والقصد: العدل، والقصد في الشيء: خلاف الإفراط وهو ما بين الإسراف والتقتير...<sup>(1)</sup>، وفي الحديث: «القصد القصد تبلغوا»<sup>(2)</sup> أي الزموا الطريق الوسط المعتدل<sup>(3)</sup>.

المقاصد اصطلاحاً: عرفها العلامة الطاهر بن عاشور -رحمه الله- بقوله: "مقاصد التشريع العامة: هي المعاني والحكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها، بحيث لا تختص ملاحظتها بالكون في نوع خاص من أحكام الشريعة، فيدخل في هذا أوصاف الشريعة وغاياتها العامة، والمعاني التي لا يخلو التشريع عن ملاحظتها، ويدخل في هذا أيضاً معان من الحكم ليست ملحوظة في سائر أنواع الأحكام ولكنها ملحوظة في أنواع كثيرة منها"<sup>(4)</sup>.

وعرفت كذلك بالقول: "مقاصد الشريعة هي: الأمور والمعاني السامية والحكم الخيرة، والقيم والمثل العليا التي ابتغى الشارع تحقيقها والوصول إليها من النصوص التي وردت عنه، أو الأحكام التي شرعها الله لعباده"<sup>(5)</sup>.

يقول سلطان العلماء العز بن عبد السلام -رحمه الله-: "ولو تتبعنا مقاصد ما في الكتاب والسنة، لعلمنا أن الله أمر بكل خير دقّه وجلّه، وزجر عن كل شر دقّه وجلّه، فإن الخير يعبر به عن جلب المصالح ودرء المفاسد، والشر يعبر به عن جلب المفاسد ودرء المصالح"<sup>(6)</sup>.

## 2- أثر المقاصد في فهم السيرة النبوية:

إن القرآن الكريم ينطوي على أرقى المقاصد وأكبرها، وأعلى المصالح وأعظمها، فهو أصل الأصول ومصدر المصادر، وأساس النقول والعقول.

(1) لسان العرب، 3/353-354. مادة: قصد.

(2) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب القصد والمداومة على العمل، ح 6098.

(3) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، 11/298.

(4) الإسلام: مقاصده وخصائصه، محمد عقله، ص 99.

(5) مقاصد الشريعة الإسلامية، الطاهر بن عاشور، ص 49.

(6) قواعد الأحكام في مصالح الأنعام، عز الدين بن عبد السلام، 2/160.



وجميع المقاصد المهمة والمعلومة والمقررة في الشرع راجعة في جملتها أو تفصيلها، تصريحاً أو تضميناً إلى هدي القرآن وتعاليمه وأسراره وتوجيهاته، فمنه استفيدت العديد من الخصائص العامة للشريعة الإسلامية المتصلة بالمقاصد الشرعية، على نحو خاصة التيسير والتخفيف، ورفع الحرج والوسطية والاعتدال والسماحة والرفق، واللين والواقعية، وغير ذلك من الخصائص الكلية والسمات العامة.

ثم جاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بسيرته العطرة مبيناً لأحكام القرآن وشارحاً ومدعماً لها، ومُبرزاً لمقاصدها وأسرارها.

فمن سيرته العطرة تستفاد غايات الوجود الكوني وأهداف الحياة الإنسانية، ويتبين المقصد الكلي المتعلق بتحقيق عبودية الخالق، وإصلاح المخلوق.

ومن سيرته العطرة استخلصت وفُصِّلَت الكليات الخمس: (حفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال)<sup>(1)</sup>.

والجدير بالذكر هنا أن "مقاصد الشريعة من المعطيات الضرورية التي يعاد إليها في معرفة أحكام حوادث الزمان وأحواله، ولا سيما في عصرنا الحالي الذي تكاثرت قضاياها، وتضخمت مستجداته، وتشابكت ظواهره وأوضاعه، وتداخلت مصالحه وحاجياته، وليس لذلك من سبيل سوى جعل المقاصد إطاراً جامعاً، وميداناً عاماً"<sup>(2)</sup>، وسبيلاً موصلاً لفهم السيرة النبوية الشريفة والاستمداد منها في هذا العصر وغيره بما يحل مشكلات الأمة، ويصلح أحوالها وأوضاعها، ويحقق مصالحها العاجلة والآجلة في الدنيا والآخرة.

ولذلك فإن "الفقه المقاصدي إذا أخذ سبيله إلى التشكيل الثقافي سوف يخلص العقل المسلم من الفوضى وانفلات الفقه والمعياري في التعامل مع الأحكام الشرعية، ويمكن من حسن اختيار وتقدير الموقع المناسب للاقتداء والتأسي من مسيرة النبوة والأحكام المناسبة للرحلة والحالة التي عليها الاستطاعة، فلا يصاب بالخسران والخيبة والإحباط لعدم استكمال تنزيل جميع الأحكام على جميع المجالات، بل يطمئن إلى

(1) انظر بحث: "اعتبار المقاصد الشرعية والمآلات من خلال السيرة النبوية"، مصطفى البركي الطيب الشيخ الهادي.

(2) الاجتهاد المقاصدي، نور الدين الخادمي، 141/2.

أنه يطبق كل الأحكام الشرعية المناسبة للحالة والواقع والإمكانات، فهو بذلك مطبق للشرعية متى لله بقدر الاستطاعة... وهذا التطبيق الجزئي بالنسبة لشمول الشريعة المستطاع المتناسب مع الحالة والواقع بالنسبة للفرد، هو السبيل للتحضير والتنمية للإمكانات والاستطاعات للارتقاء من الحسن إلى الأحسن<sup>(1)</sup>.

والحاصل أن الأمة اليوم في أمس الحاجة إلى القراءة المقاصدية للشرعية الإسلامية عامة وللسيرة النبوية خاصة.. فالاتجاه المقاصدي في الاستمداد من الوحي إنما استدعته مقتضيات تحقيق خلود الشريعة والامتداد بأحكامها، وبسطها على جميع جوانب الحياة والتدليل على رعايتها لمصالح العباد، وتخليص الفقه وعلى الأخص في عصور التقليد والجمود والركود العقلي من النظرة الجزئية والصورة الآلية المجردة البعيدة عن فقه الواقع، حيث انتهى الأمر إلى قواعد مجردة وقوالب بعيدة عن الارتباط بالغايات الأصلية التي قد تكون انتهى إليها، إلى درجة قد تفوت المصلحة، وإعادة توجيه صوب تحقيق مصالح العباد في معاشهم ومعادهم، وهي الغاية التي من أجلها جاءت الشريعة وبعث سيد الخلق، وكانت الرسالة، ومعالجة مشكلات المجتمع والتعامل مع قضايا وحاجاته<sup>(2)</sup>.

وتعتبر المقاصد بكل مراتبها من أهم ما يتعين استحضاره في عملية الاستمداد من القرآن والسنة، ويكون للمقاصد المعتمدة دور حاسم في توجيه نتائج الاستمداد وتقويم المناهج المعتمدة فيه<sup>(3)</sup>.

ومجمل القول: إن الرؤية المقاصدية هي خير وسيلة لفهم السيرة النبوية في كل مراحلها؛ في مكة والمدينة، في السلم والحرب، في الدعوة والترقية، في العلاقات الدولية... والاستمداد منها في كل زمان ومكان بما يعود على المكلفين بالخير والصالح في الدنيا والفوز والنجاة في الآخرة...

## المطلب الثاني: مقاصد الاستمداد من سيرة النبي صلى الله عليه وآله

وسلم:

(1) نفسه، 24-23/1.

(2) الاجتهاد المقاصدي، نور الدين الخادمي، من تقديم: عمر حسنة، 35/1.

(3) أساسيات منهجية للاستمداد من الوحي، د. عبد السلام الأحر، أعمال الندوة العلمية الدولية التي نظمتها الرابطة المحمدية للعلماء تحت عنوان "مناهج الاستمداد من الوحي"، ص 588.

تتجلى أهم مقاصد الاستمداد من السيرة النبوية العطرة فيما يلي:

## 1. تحقيق العبودية<sup>(1)</sup> الكاملة لله تعالى:

إن الغاية التي خلق الله من أجلها الخلق، هي عبادته تعالى وطاعته؛ لذلك يجب أن تكون حركة الإنسان في التاريخ والمجتمع ضمن هذه الغاية، وأن تكون هذه الغاية مقصدا ساميا أولا لكل عمليات الاستمداد والاستنباط والاجتهاد والتجديد.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: 56] "وإن هذا النص الصغير ليحتوي حقيقة ضخمة هائلة، من أضخم الحقائق الكونية التي لا تستقيم حياة البشر في الأرض بدون إدراكها واستيقانها. سواء كانت حياة فرد أم جماعة. أم حياة الإنسانية كلها في جميع أدوارها وأعصارها. وإنه ليفتح جوانب وزوايا متعددة من المعاني والمرامي، تدرج كلها تحت هذه الحقيقة الضخمة، التي تعد حجر الأساس الذي تقوم عليه الحياة.

وأول جانب من جوانب هذه الحقيقة أن هنالك غاية معينة لوجود الجن والإنس. تتمثل في وظيفة من قام بها وأداها فقد حقق غاية وجوده ومن قصر فيها أو نكل عنها فقد أبطل غاية وجوده وأصبح بلا وظيفة، وباتت حياته فارغة من القصد، خاوية من معناها الأصيل، الذي تستمد منه قيمتها الأولى. وقد انفلت من الناموس الذي خرج به إلى الوجود، وانتهى إلى الضياع المطلق، الذي يصيب كل كائن ينفلت من ناموس الوجود، الذي يربطه ويحفظه ويكفل له البقاء.

(1) قال الإمام ابن تيمية -رحمه الله- في تعريفه للعبادة: "العبادة هي: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة. فالصلاة والزكاة والصيام والحج وصدق الحديث وأداء الأمانة وبر الوالدين وصلة الأرحام والوفاء بالعهود والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد للكفار والمنافقين والإحسان للجار واليتيم والمسكين وابن السبيل والمملوك من الآدميين والبهائم والدعاء والذكر والقراءة وأمثال ذلك من العبادة. وكذلك حب الله ورسوله، وخشية الله والإنابة إليه، وإخلاص الدين له، والصبر لحكمه، والشكر لنعمه، والرضا بقضائه، والتوكل عليه، والرجاء لرحمته، والخوف من عذابه، وأمثال ذلك هي من العبادة لله. وذلك أن العبادة لله هي الغاية المحبوبة له والمرضية له التي خلق الخلق لها كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (56 الذاريات). انظر كتابه: العبودية، ص 44.



هذه الوظيفة المعينة التي تربط الجن والإنس بناموس الوجود. هي العبادة لله. أو هي العبودية لله.. أن يكون هناك عبد ورب. عبد يعبد، ورب يعبد. وأن تستقيم حياة العبد كلها على أساس هذا الاعتبار. ومن ثم يبرز الجانب الآخر لتلك الحقيقة الضخمة، ويتبين أن مدلول العبادة لا بد أن يكون أوسع وأشمل من مجرد إقامة الشعائر. فالجن والإنس لا يقضون حياتهم في إقامة الشعائر والله لا يكلفهم هذا. وهو يكلفهم ألواناً أخرى من النشاط تستغرق معظم حياتهم. وقد لا نعرف نحن ألوان النشاط التي يكلفها الجن ولكننا نعرف حدود النشاط المطلوب من الإنسان. نعرفها من القرآن من قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: 29]، فهي الخلافة في الأرض إذن عمل هذا الكائن الإنساني. وهي تقتضي ألواناً من النشاط الحيوي في عمارة الأرض، والتعرف إلى قواها وطاقاتها، وذخائرها ومكوناتها، وتحقيق إرادة الله في استخدامها وتنميتها وترقية الحياة فيها. كما تقتضي الخلافة القيام على شريعة الله في الأرض لتحقيق المنهج الإلهي الذي يتناسق مع الناموس الكوني العام.

ومن ثم يتجلى أن معنى العبادة التي هي غاية الوجود الإنساني أو التي هي وظيفة الإنسان الأولى، أوسع وأشمل من مجرد الشعائر وأن وظيفة الخلافة داخلية في مدلول العبادة قطعاً. وأن حقيقة العبادة تتمثل إذن في أمرين رئيسين:

الأول: هو استقرار معنى العبودية لله في النفس. أي استقرار الشعور بأن هناك عبداً ورباً. عبداً يعبد، ورباً يعبد. وأن ليس وراء ذلك شيء وأن ليس هناك إلا هذا الوضع وهذا الاعتبار. ليس في هذا الوجود إلا عابد ومعبود وإلا رب واحد والكل له عبيد.

والثاني: هو التوجه إلى الله بكل حركة في الضمير، وكل حركة في الجوارح، وكل حركة في الحياة.

التوجه بها إلى الله خالصة، والتجرد من كل شعور آخر ومن كل معنى غير معنى التعبد لله.

بهذا وذلك يتحقق معنى العبادة ويصبح العمل كالشعائر، والشعائر كعمارة الأرض، وعمارة الأرض كالجهاد في سبيل الله، والجهاد في سبيل الله كالصبر على الشدائد والرضى بقدر الله.. كلها عبادة وكلها تحقيق للوظيفة الأولى التي خلق الله الجن والإنس لها وكلها خضوع للناموس العام الذي يتمثل في عبودية كل شيء لله دون سواه.

عندئذ يعيش الإنسان في هذه الأرض شاعرا أنه هنا للقيام بوظيفة من لدن الله تعالى رب العالمين، جاء لينهض بها فترة، طاعة لله وعبادة له لا أرب له هو فيها، ولا غاية له من وراءها، إلا الطاعة، وجزاؤها الذي يجده في نفسه من طمأنينة ورضى عن وضعه وعمله، ومن أنس برضى الله عنه، ورعايته له. ثم يجده في الآخرة تكريما ونعيما وفضلا عظيما<sup>(1)</sup>.

وهكذا؛ فإن إعلان العباد عبوديتهم لله تعالى إنما يصلحهم هم ويصلح حياتهم ومعاشهم كذلك.. فتي أعلن الناس عبوديتهم لله تحرروا من العبودية لسواه.. تحرروا من العبودية للشيطان الذي يريد ليغويهم وتحرروا من شهواتهم وأهوائهم. وتحرروا من العبودية للعبيد من أمثالهم واستحيوا أن يتبعوا خطوات الشيطان، واستحيوا أن يغضبوا الله بعمل أو نية وهم يتجهون إليه في الشدة ويتضرعون، واستقاموا على الطريقة التي تحررهم وتطهرهم وتزكهم، وترفعهم من العبودية للهوى والعبودية للعبيد!<sup>(2)</sup>.

ومنا هذا الأصل يجب أن تنطلق عملية الاستمداد من السيرة النبوية وتعود إليه، تنطلق من ابتغاء وجه الله تعالى والإخلاص له ليهديها سبل الرشاد، وتصل إلى استمداد تعين به الخلق ليحققوا عبوديتهم الكاملة والخالصة لله تعالى ونيل رضاه في المعاش والمعاد.

## 2- زيادة المحبة والإيمان:

إن من مقاصد الاستمداد من السيرة النبوية العطرة زيادة المحبة لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والشوق إليه، وكثرة ذكره، والاهتداء بهديه ومنهاجه...

ولأهمية هذا المقصد النبيل حض الله تعالى الأمة عليه، فقال عز من قائل: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَرْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَحْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: 24]، "فكفى بهذا حظا وتنبيها ودلالة وحجة على التزام محبته، ووجوب فرضها، وعظم خطرها، واستحقاقه لها عليه السلام، إذ قرع تعالى من كان ماله

(1) في ظلال القرآن، 3387/6 بتصرف يسير.

(2) في ظلال القرآن، 1337/3.

وأهله وولده أحب إليه من الله ورسوله، وأوعدهم بقوله: ﴿فَتَرْبُّوْهُ حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهَ بِأَمْرِهِ﴾، ثم فسقهم بتمام الآية وأعلمه أنهم ممن ضل ولم يهده الله<sup>(1)</sup>.

وقد ذكر الله تبارك وتعالى في الآية الكريمة السابقة ثمانية أصناف وهم: الآباء والأبناء والإخوان والأزواج والعشيرة والأموال المكتسبة والتجارات والمساكن. وهذه الأصناف تمثل مجموعها كافة الروابط الأسرية والاجتماعية والاقتصادية وعليها مدار مصالح الخلق في دنياهم. وهي التي تثقل الإنسان وتخلده إلى الأرض.. فجعل الله تعالى من مقتضى الإيمان إيثار محبة الله ورسوله على حب هذه الأصناف جميعها، وهذا هو حال المؤمنين الصادقين<sup>(2)</sup>.

ولذلك فإن محبة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أصل عظيم من أصول الإيمان يتوقف على وجودها وجود الإيمان، وهما أمران متلازمان في قلب المؤمن تلازما مطردا يزيد أحدهما بزيادة الآخر وينقص بنقصانه. كما جاء ذلك مبينا في الحديث الذي رواه أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»<sup>(3)</sup>.

وعليه؛ فإذا قويت محبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في قلب المؤمن وزادت أثر ذلك زيادة في الإيمان، وذاق العبد حينئذ حلاوة الإيمان.

### 3- بيان ما جهل البشر من سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

إن لعملية الاستمداد من السيرة النبوية دور كبير في بيان ما جهله الناس من سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومنهجه في التغيير والإصلاح الإنساني والاجتماعي والسياسي والاقتصادي والعسكري...

فقد بعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم في بيئة سادت فيها القبلية وحمية الجاهلية، والمنكرات والفساد، وعبادة الأوثان... فجاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم فجمع الناس على ملة واحدة، ودين واحد،

(1) نفائس الدرر من أخبار سيد البشر، أبو سرحان مسعود جموع، 5/1620.

(2) فقه السيرة النبوية، د. رشيد كهوس، ص 16-17.

(3) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب حب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الإيمان، ح 15.

وشرع واحد، وحكم واحد، فحقق الجامعة الإسلامية الإنسانية بكل معانيها، وحقق المساواة بين الإنسانية كلها بمختلف أجناسها وشعوبها وقبائلها ومللها ونحلها، وقرر العدالة في الحقوق المدنية والتأديبية بالعدل المطلق بين المؤمن والكافر، والبر والفاجر، والحاكم والمحكوم، والغني والفقير، والقوي والضعيف، ووضع للحرب والسلام ضوابطهما وأحكامهما، وأعطى للنساء حقوقهن كاملة غير منقوصة، وبين الترتيب الإدارية والسياسة الشرعية وما تساس به الرعية، وبني المجتمع على أسس متينة وقاعد صلبة، وشرع جملة من الأحكام حفظا لمصالح الناس في دنياهم وأخراهم...

وكل هذه المسائل وغيرها يجهلها الكثير من الناس، ولذلك كان من مقاصد الاستمداد من السيرة العطرة بيانها، وتنبيه الناس ولفت أنظارهم إليها، وكشف الحجب عن حقيقتها...

#### 4- الوقوف على مواطن الاقتداء والتأسي:

إن سيدنا محمداً صلى الله عليه وآله وسلم هو رسول من عند الله تعالى إلى خلق الله، وهو الرجل الكامل كمالاً لا نظير له في أخلاقه وصفاته وسجاياه، يكفيه ثناء ربه عليه في قوله جل وعلا: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: 4]، ولذلك أمر الله جل وعز عباده المؤمنين بالتأسي به والإقتداء بهديه ولزوم طريقته واقتفاء آثاره، فقال عز من قائل: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: 7]، وقال أيضاً: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: 61]. فهو عليه الصلاة والسلام هداية للخلق وأسوة لهم، ورحمة للعالمين ..

إن من مقاصد الاستمداد من السيرة النبوية البحث عن مواطن التأسي والإقتداء به صلى الله عليه وآله وسلم، وهذا هو المقصد الأسمى والمجال الأرحب في الاستمداد من السيرة النبوية للتأسي بصاحبها؛ وقد قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ إِسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ [الأحزاب: 21].

قال الإمام ابن كثير -رحمه الله- في تفسيره لهذه الآية: "هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسي برسول الله صلى الله عليه وسلم في أقواله وأفعاله وأحواله؛ ولهذا أمر الناس بالتأسي بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم".

وسلم يوم الأحزاب، في صبره ومصابرته ومرابطته ومجاهدته وانتظاره الفرج من ربه، عز وجل، صلوات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم الدين" (1).

وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي-رحمه الله:- "واستدل الأصوليون في هذه الآية، على الاحتجاج بأفعال الرسول صلى الله عليه وسلم، وأن الأصل، أن أمته أسوته في الأحكام، إلا ما دل الدليل الشرعي على الاختصاص به. فالأسوة نوعان: أسوة حسنة، وأسوة سيئة. فالأسوة الحسنة، في الرسول صلى الله عليه وسلم، فإن المتأسي به، سالك الطريق الموصل إلى كرامة الله، وهو الصراط المستقيم. وأما الأسوة بغيره، إذا خالفه، فهو الأسوة السيئة، كقول الكفار حين دعته الرسل للتأسي بهم: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهُتَدُونَ﴾ [الزخرف: 21] وهذه الأسوة الحسنة، إنما يسلكها ويوفق لها، من كان يرجو الله، واليوم الآخر، فإن ما معه من الإيمان، وخوف الله ورجاء ثوابه وخوف عقابه، يحثه على التأسي بالرسول صلى الله عليه وسلم" (2).

وقال الشيخ محمد المكي الناصري -رحمه الله:- "ولما كان الائتساء برسول الله صلى الله عليه وسلم والاقتراء به على الوجه الأكمل، مقاما كبيرا في الدين، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم يمثل الإنسان الكامل بين العالمين، نبه كتاب الله على أن هذا المقام لا يبلغه إلا الأصفياء الأتقياء من أقوياء الإيمان واليقين، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿لَمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾، بعد قوله: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾" (3).

وحتى يحصل التأسي والاقتراء فإنه يجب أن تضبط عملية الاستمداد بضابط منهجي علمي شرعي دقيق؛ حتى يصح التأسي ويقع الاقتداء موقعه، ويكون الاقتداء به صلى الله عليه وآله وسلم في جميع

(1) تفسير القرآن العظيم، 391/6

(2) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص 660.

(3) التيسير في أحاديث التفسير، 114/5.



مجالات الحياة (التربوية، والسياسية، والاقتصادية، والاجتماعية...)، وفي العبادات والمعاملات، وفي المهمات العظيمة والمواقف الكبيرة يعظم أجره وثوابه<sup>(1)</sup>..

## 5- جلب المصالح ودفع المفاسد:

إن من مقاصد الاستمداد من السيرة النبوية جلب المصالح للعباد ودفع المفاسد عنهم؛ فمن خلال السيرة النبوية نقف على ما تحفظ به مصالح الإنسان في الحياة الدنيا وتحقق له فيها العيشة الطيبة الهنية، ويحفظ دينه ونفسه وعرضه وعقله وماله وسائر حقوقه وواجباته، كما نقف على ما تحقق به مصالحه في الآخرة؛ بفوزه -إن تمسك بمنهاج خير الورى وتلبس بسيرته العطرة- بالرضا والنعيم المقيم، والنجاة من النار والخسران المبين...

يقول الإمام ابن تيمية -رحمه الله-: "الدنيا متاع نمتع بها إلى غيرها، وإن الآخرة هي المستقر وإذا عرف أن لذات الدنيا ونعيمها إنما هي متاع ووسيلة إلى لذات الآخرة، وكذلك خلقت، فكل لذة أعانت على لذات الآخرة فهو مما أمر الله به ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم، ويثاب على تحصيل اللذة بما يثوب إليه منها من لذات الآخرة التي أعانت هذه عليها، ولهذا كان المؤمن يثاب على ما يقصد به وجه الله من أكله وشربه ولباسه ونكاحه... وكل لذة أعقبت ألماً في الدار الآخرة أو منعت لذة الآخرة فهي محرمة مثل: لذات الكفار والفساق بعلوهم في الأرض وفسادهم"<sup>(2)</sup>.

ويقول الإمام ابن قيم الجوزية -رحمه الله-: "وإذا تأملت شرائع دينه التي وضعها بين عباده وجدتها لا تخرج عن تحصيل المصالح الخالصة أو الراجعة، بحسب الإمكان وأن تزاومت قدم أهمها وأجلها، وأن فاتت أدناها وتعطيل المفاسد الخالصة أو الراجعة بحسب الإمكان، وأن تزاومت عطل أعظمها فسادا باحتمال أدناها، وعلى هذا وضع أحكم الحاكمين شرائع دينه دالة عليه، شاهدة له بكمال علمه وحكمته

(1) فقه السيرة النبوية، د. رشيد كهوس، ص 19-20.

(2) الاستقامة، ابن تيمية، 2/152-153.

ولطفه بعباده وإحسانه إليهم، وهذه الجملة لا يستريب فيها من له ذوق من الشريعة، وارتضاع من ثديها، وورود من صفو حوضها، وكلها كان تضلعه منها أعظم كان شهوده لمحاسنها ومصالحتها أكل<sup>(1)</sup>. وبناء على هذا الشمول كان أبرز صفة من صفات الشرائع الإلهية بإجماع علماءها أنها جاءت لما فيه صلاح الناس في معاشهم ومعادهم، أي: يلزم من تطبيقها حصول السعادة لهم في الدارين<sup>(2)</sup>. وهكذا يلاحظ الدارس لسيرة خير الأنام أن كل تصرفاته وأفعاله كانت بمقتضى تحصيل مصالح العباد الدينية والدنيوية، وتعطيل المفسد ودرئها عنهم.

## 6- تقرير مزايا الإسلام في العبادات والمعاملات والمحظورات:

إن تقرير مزايا الإسلام في العبادات والمعاملات والمحظورات وبيانها انطلاقاً من السيرة النبوية مقصد من مقاصد الاستمداد، ويمكن إجمال أهم هذه المزايا فيما يلي:

- كون الإسلام وسطاً جامعاً لحقوق الروح والجسد، ومصالح الدنيا والآخرة، فالمسلمون وسط بين الذين تغلب عليهم الحظوظ الجسدية والمنافع المادية كاليهود، والذين تغلب عليهم التعاليم الروحية وتعذيب الجسد وإذلال النفس والزهد... كالهندوس والنصارى، وإن خالف هذه التعاليم أكثرهم. وتوضح هذه الميزة جلية فيما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه حيث يقول: جَاءَ ثَلَاثَةٌ رَهْطٍ إِلَى بَيْوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَانَهُمْ تَقَالُوهَا، فَقَالُوا: وَإِنْ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أَفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: «أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَّا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتَقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأَفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»<sup>(3)</sup>.

(1) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، 22/2.

(2) انظر: المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، يوسف العالم، ص 144.

(3) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، ح 4776.

- كون غايته الوصول إلى سعادة الدنيا والآخرة بتزكية النفس بالإيمان الصحيح، ومعرفة الله، والعمل الصالح، ومكارم الأخلاق، ومحاسن الأعمال، لا بمجرد الاعتقاد والاتكال، ولا بالشفاعات وخوارق العادات.

- كون الغرض منه التعارف والتأليف بين البشر لا زيادة التفريق والاختلاف كما يزعم أعداء الأديان.

- كونه يسرا لا حرج فيه ولا عسر ولا إرهاق ولا إعنات، وقد كان سيد الخلق ميسرا، وبخلق الله رحيمًا ومعينًا، عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبَا مُوسَى، وَمُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ إِلَى الْيَمَنِ، قَالَ: وَبَعَثَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَى مَخْلَافٍ، قَالَ: وَالْيَمَنُ مَخْلَافَانِ، ثُمَّ قَالَ: «يَسْرًا وَلَا تُعَسِّرَا، وَبَشْرًا وَلَا تُنْفِرَا»<sup>(1)</sup>. وعن عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى شَيْخًا يَهَادِي بَيْنَ ابْنَيْهِ، فَقَالَ: «مَا بَالُ هَذَا؟» قَالُوا: نَذَرْنَا أَنْ يَمُوتَ، قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ عَنْ تَعْدِيْبِ هَذَا نَفْسُهُ لَغَنِيٌّ»، وَأَمَرَهُ أَنْ يَرْكَبَ<sup>(2)</sup>.

- منع التنطع والغلو في الدين وإبطال جعله تعذيبًا للنفس بإباحة الطيبات والزينة بدون إسراف ولا كبرياء.

- قلة تكاليفه وسهولة فهمها، وقد كان الأعرابي يجيء النبي صلى الله عليه وآله وسلم من البادية فيسلم فيعَلِّمه ما أوجب الله وما حرم عليه في مجلس واحد فيعاهده على العمل به فيقول صلى الله عليه وآله وسلم: «أفلح إن صدق»<sup>(3)</sup>، وكان هذا أعظم أسباب قبول الناس له.

- انقسام التكليف إلى عزائم ورخص، وكان عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما- يرحح جانب الرخص، وعبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- يرحح العزائم، والناس درجات في التقصير والتشمير والاعتدال، فهو يوافق البدوي الساذج والفيلسوف الحكيم وما بينهما من الطبقات.

(1) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب بَعَثَ أَبِي مُوسَى وَمُعَاذٍ إِلَى الْيَمَنِ قَبْلَ حِجَّةِ الْوَدَاعِ، ح 4086.

(2) صحيح البخاري، كتاب جزاء الصيد، باب من نذر المشي إلى الكعبة، ح 1766. صحيح مسلم، كتاب النذر، باب من نذر أن يمشي إلى الكعبة، ح 1642.

(3) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب الزكاة من الإسلام، ح 46. صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الصلوات التي هي أحد أركان الإسلام، ح 11.

- نصوص الكتاب وهدى السنة مراعى فيهما درجات تفاوت البشرية في العقل والفهم وعلو الهمة وضعفها، فالقطعي منها هو العام، وغير القطعي تتفاوت فيه الأفهام، فيأخذ كل أحد منه بما أداه إليه اجتهاده، ولذلك كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقر كل أحد من أصحابه فيه على اجتهاده، كما فعل عندما نزلت آية البقرة في الخمر والميسر والدالة على تحريمهما دلالة ظنية فتركهما بعضهم دون بعض، وأقر كلا على اجتهاده إلى أن نزلت آيتا المائدة بالتحريم القطعي.

- معاملة الناس بظواهرهم، وجعل البواطن موكولة إلى الله تعالى، فليس لأحد أن يعاقب أحدا، ولا أن يحاسبه على ما يعتقد أو يضر في قلبه، وإنما العقوبات على المخالفات العملية للأحكام العامة المتعلقة بحقوق الناس ومصالحهم.

- مدار العبادات كلها على اتباع ما جاء به النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الظاهر، فليس لأحد فيها رأي شخصي ولا رئاسة، ومدارها في الباطن على الإخلاص لله تعالى وصحة النية<sup>(1)</sup>.

## 7- هداية الناس وإصلاح الاعتقاد وتهذيب الأخلاق:

إن من المقاصد التي يجب مراعاتها في عملية الاستمداد من السيرة النبوية، مقصد هداية الناس وإصلاح الاعتقاد وتهذيب الأخلاق؛ فالسيرة النبوية العطرة هي ساحة واسعة لإصلاح أفراد البشر وجماعاتهم وأقوامهم، وإدخالهم في طور الرشد، وتحقيق أخوتهم الإنسانية وجامعتهم الإسلامية، وتهذيب أخلاقهم، وترقية عقولهم، وتركيز أنفسهم؛ وتعهدها بما ينمي غراس الخير فيها حتى تؤتي أكلها، ويبدو صلاحها، وتينع ثمرتها.

لقد بعث الله رسوله محمدا صلى الله عليه وآله وسلم خاتم النبيين ليخرج الناس من ظلمات المعتقدات الضالة والأخلاق الفاسدة إلى نور العقيدة الإسلامية الصحيحة والأخلاق الحميدة النبيلة، ويبيّن لهم أنّ دين الله الإسلام هو دين الفطرة، والعقل والفكر، والعلم والحكمة، والبرهان والحجة، والضمير والوجدان،

(1) الوحي المحمدي، محمد رشيد رضا، ص 194 وما بعدها.

والحرية والاستقلال، وأن لا سيطرة على روح الإنسان وعقله وضميره لأحد من خلق الله، وإنما رسل الله هداة مرشدون، مبشرون ومنذرون<sup>(1)</sup>.

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [آل عمران: 164].

﴿يُزَكِّيهِمْ﴾ أي: "يطهرهم ويرفعهم وينقيهم. يطهر قلوبهم وتصوراتهم ومشاعرهم. ويطهر بيوتهم وأعراضهم وصلاتهم. ويطهر حياتهم ومجتمعهم وأنظمتهم.. يطهرهم من أرجاس الشرك والوثنية والخرافة والأسطورة، وما تبثه في الحياة من مراسم وشعائر وعادات وتقاليد هابطة مزرية بالإنسان وبمعنى إنسانيته.. ويطهرهم من دنس الحياة الجاهلية، وما تلوث به المشاعر والشعائر والتقاليد والقيم والمفاهيم"<sup>(2)</sup>.

﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ "وكان المخاطبون بهذه الآية أميين جهالاً. أمية القلم، وأمية العقل سواء. وما كان لهم من المعرفة شيء ذو قيمة بالمقاييس العالمية للمعرفة، في أي باب من الأبواب. وما كان لهم في حياتهم من هموم كبيرة تنشئ معرفة ذات قيمة عالمية في أي باب من الأبواب. فإذا هذه الرسالة تحيلهم أساتذة الدنيا، وحكماء العالم، وأصحاب المنهج العقدي والفكري والاجتماعي والتنظيمي، الذي ينقذ البشرية كلها من جاهليتها في ذلك الزمان. والذي يرتقب دوره في الجولة القادمة- بإذن الله- لإنقاذ البشرية مرة أخرى من جاهليتها الحديثة، التي تتمثل فيها كل خصائص الجاهلية القديمة من النواحي الأخلاقية والاجتماعية وتصور أهداف الحياة الإنسانية وغاياتها كذلك! على الرغم من فتوحات العلم المادي والإنتاج الصناعي، والرخاء الحضاري!

﴿وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾: ضلال في التصور والاعتقاد، وضلال في مفهومات الحياة، وضلال في الغاية والاتجاه، وضلال في العادات والسلوك. وضلال في الأنظمة والأوضاع، وضلال في المجتمع والأخلاق.."<sup>(3)</sup>.

(1) انظر: الوحي المحمدي، ص 173.

(2) في ظلال القرآن، سيد قطب، م 1 ص 507.

(3) في ظلال القرآن، سيد قطب، م 1 ص 511.



وعليه؛ فإن مراعاة هذا المقصد في عملية الاستمداد لا شك أنه سيعطي ثماراً يانعة، ونتائج نافعة تحقق مصالح الإنسانية في الأولى والآخرة.

## 8- الوقوف على سنن العمران وبناء الإنسان:

لقد استخلف الله تعالى الإنسان في الأرض واستعمره فيها؛ لغاية كبرى هي: تحقيق العبودية الكاملة لله تعالى، وإقامة العدل والإصلاح في الأرض وعمارته، وهو مقتضى قوله عز وجل: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ [هود: 60]

فمعنى ﴿استعمركم﴾ في الآية: أي: وجعلكم عماراً فيها من العمران، جعلكم عمّارها<sup>(1)</sup>، أو طلب منكم أن تعمروها<sup>(2)</sup>، واستعمار الإنسان في الأرض من لدن رب العالمين يعني: تفويضه لعمارته وإصلاحها، لكونه خليفة الله في أرضه المكلف بعمارته وفق شرع الله، وعلى هدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وعليه؛ فإن بناء الإنسان والعمران الإنساني مأمور به شرعاً، وهو أصل من أصول الدين ومقصد عام من مقاصد الشريعة الإسلامية الغراء.

ولذلك؛ فإن الربط بين عملية الاستمداد وتأسيس العمران وبناء الإنسان يعد المنهج الصحيح والمهيح الواسع لتنزيل نتائج الاستمداد في واقع الناس.

وإن ما تعيشه الإنسانية اليوم يقتضي العودة إلى السيرة النبوية الغراء وإعادة استكشاف قدراتها في بناء الإنسان والعمران البشري<sup>(3)</sup>.

وخلاصة القول: إن الربط بين السيرة النبوية والحياة الإنسانية يجعل الإنسان منسجماً مع سنن الكون في فكره وسلوكه وفاعليته، ويجعل العمران البشري يسير سويًا على صراط مستقيم، وإن قطع الصلة

(1) تفسير المنار، رشيد رضا، 101/12.

(2) تفسير الشعراوي، 1089/2.

(3) فقه السيرة النبوية، د. رشيد كهوس، ص 18.

بين الإنسان والعمران وسيرة النبي العدنان صلى الله عليه وآله وسلم لا يسبب إلا فوضى عارمة تعم كل مكان.

### خاتمة<sup>٤</sup>

انطلاقاً مما سبق نخلص إلى النتائج الآتية:

- إن اعتماد الرؤية المقاصدية في عملية الاستمداد هي السبيل الأقوم إلى فهم السيرة النبوية العطرة على أحسن وجه وأكمل صورة.
- إن السيرة النبوية العطرة هي النبراس الهادي الذي يضيء الطريق إلى مقاصد الشريعة وحكمها وعلل أحكامها.
- إن مقاصد الاستمداد من السيرة النبوية العطرة متكاملة ومتداخلة إذا روعيت في عملية الاستمداد حقق آثاره ونتائجه، وبلغ مقصده وغايته، وحالفه الحظ والتوفيق والسداد، وكان بلسمًا شافياً لهذه الأمة، ورواء لعطشها، ونورا وضياء لها في مسالك الحياة...
- وفي الختام إن عملية الاستمداد تحتاج إلى إخلاص النية والتجرد لله تعالى، والصدق في كل ذلك.

### وأختم بهذه التوصيات<sup>٥</sup>

- عقد المزيد من الندوات والمؤتمرات الدولية السنوية التي تركز على مختلف جوانب الاستمداد من السيرة النبوية العطرة.
- التركيز على الرؤية المقاصدية والهدائية في عملية الاستمداد من السيرة النبوية.
- على الكليات التي تعنى بالعلوم الشرعية أن تشجع الباحثين لتعميق البحث في السيرة النبوية وكشف كنوزها عبر فتح مسالك جديدة في الإجازة والماسر والدكتوراه.
- وصل اللهم وسلم على سيدنا محمد وأزواجه وأهل بيته وأصحابه، وعلى جميع الأنبياء والمرسلين، وعلى ملائكتك المقربين، وعلى عبادك الصالحين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، والحمد لله رب العالمين.

## المصادر والمراجع:

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

1. الاجتهاد المقاصدي، نور الدين بن المختار الخادمي، تقديم: عمر عبید حسنة، كتاب الأمة، عدد: 66-65، قطر، ط1: 1998م.
2. الاستقامة، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت: 728هـ)، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود-المدينة المنورة، ط1: 1403هـ.
3. الإسلام: مقاصده وخصائصه، محمد عقله، مكتبة الرسالة الحديثة ومطبعة الشرق-عمان، 1405هـ/1984م.
4. "اعتبار المقاصد الشرعية والمآلات من خلال السيرة النبوية"، مصطفى البكري الطيب الشيخ الهادي، (بحث منشور ضمن بحوث المؤتمر الدولي الأول للسيرة النبوية الشريفة، في موضوع: "تنزيل مقاصد الشرع وتعميق محبة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم"، الذي نظمتها جامعة إفريقيا العالمية بالسودان بالتعاون مع وزارة الإرشاد والأوقاف، يومي 11-12 يناير 2013).
5. تفسير الشعراوي- انلواطر، محمد متولي الشعراوي (ت: 1418هـ)، مطابع أخبار اليوم، 1997م.
6. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: 774هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، ط2: 1420هـ/1999م.
7. تفسير المنار، محمد رشيد بن علي رضا القلموني الحسيني (ت: 1354هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م.
8. التيسير في أحاديث التفسير، محمد المكي الناصري (ت: 1414هـ)، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، ط1: 1405هـ/1985م.

9. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت: 1376هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط1: 1420هـ/2000م.
10. صحيح البخاري (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسُننه وأيامه)، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم ابن المغيرة بن بردزبة البخاري الجعفي (ت: 256هـ)، ضبط النص: محمود محمد نصار، دار الكتب العلمية، بيروت، ط4: 1425هـ/2004.
11. صحيح مسلم (المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ)، أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت: 261هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي-بيروت.
12. العبودية، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق: محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي-بيروت، ط7: 1426هـ/2005م.
13. فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، 1379هـ.
14. فقه السيرة النبوية، المفهوم والأسس والنماذج، رشيد كهوس، دار الكلمة، مصر، ط: 1، 2016.
15. في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت: 1385هـ)، دار الشروق، بيروت-القاهرة، ط17: 1412هـ.
16. قواعد الأحكام في مصالح الأنعام، عز الدين بن عبد السلام، تحقيق: محمود بن التلاميذ الشنقيطي، دار المعارف، بيروت، ط: د، ت، 2/160.
17. لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي بن منظور الأنصاري الرويفي الإفريقي (ت: 711هـ)، دار صادر، بيروت، ط3: 1414هـ.
18. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: 751هـ)، دار الكتب العلمية-بيروت.

19. مقاصد الشريعة الإسلامية، الطاهر بن عاشور، دار سخون-تونس، ط2: 1428هـ/2007م.
20. المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، يوسف حامد العالم، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، ط2: 1994م.
21. مناهج الاستمداد من الوحي، أعمال الندوة العلمية الدولية التي نظمتها الرابطة المحمدية للعلماء 27-28 صفر 1429هـ/5-6 مارس 2005، دار أبي رقرق للطباعة والنشر، ط2008، 1.
22. نفائس الدرر من أخبار سيد البشر، أبو سرحان مسعود بن محمد بن علي السجلهاسي الفاسي الشهير بجموع (ت: 1119هـ)، تحقيق: طارق طاطمي وزملاؤه، منشورات الرابطة المحمدية ومركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث ضمن سلسلة نواذر التراث (12)، ط1: 1431هـ/2010م.
23. الوحي المحمدي، محمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1: 1426هـ/2005م.